دلالات تقدم النعت في الجملة الفعلية على المفرد في السياق القرآني

Range of Meanings in anteceding the Epithet the Singular in the Verbal Sentence in the Quranic Context

أ.د. رعد هاشم عبود
جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
Prof.Dr.Raad Hashim Abood ,
ThiQar University , College of Education for Humanities ,
Department of Arabic

ملخص البحث

يتطرق البحث إلى ترتيب النعوت للمنعوت النكرة في السياق القرآني على أساس أنَّ النحويين قد ذهبوا في ذلك مذاهبَ ثلاثة : إذ يرى سيبويه أنَّ ذلك جائز في الكلام العربي ، ويرى ابن السرّاج وأيّده ابن عصفور أنَّ ذلك لا يجوز إلاّ في نادر الكلام أو في الضرورة الشعرية ، في حين عدَّ ابن مالك تقدُّم النعت المفرد على شبه الجملة ثم الجملة من باب الغلبة ، وبموازنة ذلك بما ورد في القرآن الكريم وجدنا الرأي الذي يقول بعدم الجواز لا يصمد أمام الدلالات التي تحملها النصوص القرآنية ؛ إذ يكون تقديم النعت الجملة الفعلية لأسباب هي :

١- أن يريد المشرِّع تقديم العلاقة بينه وبين المؤمنين على العلاقة بين المؤمنين أنفسهم أو العلاقة بين المؤمنين والكافرين ، ويتضح هذا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة/٥٤] .

٢- أن تقدَّم الفعلية لأنَّ الأهم مدلولها على سواها ؛ ولأنَّ الكافرين نفوا حصول مدلولها ، يبدو ذلك في قوله تعالى ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام/٩٢] ولأنَّ (أنزلناه) تمثل جهة الانزال وهو الله تعالى وهي مقدَّمة على ما يحصل من الكتاب من بركة وتصديق لما بين يدي الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) .

٣- أن تشير الجملة الفعلية إلى ذات المنعوت والمفرد يشير إلى أثره وعلى وفق ذلك يقدَّم ما يشير إلى الذات على ما يشير إلى أثر ذلك. ويبدو ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/٥٢]

٤- ثم ارتأت الدراسة إبقاء النعت على حاله نعتاً وإن تقدَّم على المنعوت النكرة ؛ لاختلاف دلالة كلٍّ من النعت والحال ؛ ولأنَّ القول بالحالية يبطل جواز تعدد النعوت في السياق الواحد.

٥- وأفادت الدراسة من كتب النحو القديمة والحديثة وكتب التفسير من مثل الكشاف للزمخشري ، والتفسير الكبير للفخر الرازي والدر المصون للسمين الحلبي وتفسير أبي السعود وروح المعاني للآلوسي وتفسير ابن عاشور وغير ذلك.

وأخيراً أرجو أن تنال الأفكار التي وردت ههنا الاهتمام والقبول ، وهي تتقبل النقد الذي يجعلها أكثر رصانة ونفعاً – والله من وراء القصد – .

Abstract

The study deals with the ordering of epithets in relation to the indefinite substantives in the Quranic context. Grammarians are divided into three approaches: Sibawayh believed that is possible in Arabic speech, while Ibin Al-Sarraj , supported by Ibin Isfur, believe that is impossible to occur , but only in rare cases or in poetic necessity, whereas Ibin Malik considered that a singular epithet preceding a phrase or a sentence takes place because of predominance . Concurrently, it is found that the view which believes in the impossibility of that case could not withstand the range of meanings conveyed by the Quranic texts .The epithet introduces the verbal sentence for some reasons.

1-the legislator wants to introduce the relationship between Him and the believers to the relationship among the believers themselves , or between them and the disbelievers as seen by His Almighty 's saying " O you who have believed, whoever of you should revert from his religion - Allah will bring forth [in place of them] a people He will love and who will love Him [who are] humble toward the believers"(Surat Al-Mā'idah , 54).

2- the verbal sentence should precede because its meaning is important rather than any thing else "And this is a Book which We have sent down, blessed and confirming what was before it,

3-And We had certainly brought them a Book which We detailed by knowledge - as guidance and mercy to a people who believe.(Al'araf,52)

المقدمة

تحدَّث النحويون عن ترتيب النعوت إذا جاء المنعوت نكرةً ، إذ يأتي النعت المفرد أولاً – وهذا هو القياس ثم بعد ذلك يأتي النعت الجملة على أساس أنَّ المفرد أصلٌ والجملة فرعٌ عليه ، ولا ينبغي تقديم ما هو فرع على ما هو أصل إلاّ في ضرورة الشعر ، وهذا ما ذهَبَ إليه ابن السرّاج[١] ثم أيَّد ابن عصفور ما مالَ إليه ابن السرّاج ، يقول ابن عصفور : ((وإذا اجتمع في هذا الباب صفتان احداهما اسم والأخرى في تقديره قَدَّمت الاسم ، ثم الظرف أو المجرور ثم الجملة ... ولا يجوز خلاف ذلك إلاّ في نادر الكلام أو في ضرورة الشعر...))[٢] ، لكنَّ سيبويه لم يقل بالمنع بل جوّز تقديم الفعلية على المفرد ، يقول : ((نحنُ قومٌ ننطلقُ عامدون إلى بلد كذا ، إنْ جعلته وصفاً ، وإن لم تجعله وصفاً نصبتَ ، كأنه قال : نحنُ ننطلقُ عامدين))[٣] ، وهناك من قال بغلبة تقديم المفرد على شبه الجملة وشبه الجملة على الجملة ، وهذا وجدناه عند ابن مالك إذ يقول : ((وإذا نُعِتَ بمفردٍ وظرفٍ وجملة قُدِّمَ المفرد وأُخّرتِ الجملة غالباً))[٤] ، ومَالَ إلى ذلك الرضي[٥] ، والازهري[٦].

إنَّ الرأي الذي يوجب تقديم المفرد على سواه ، إنّما ينطلقُ من الجانب المعياري في النحو العربي ، ويحكم المنطق في ذلك دون النظر إلى الأثر الدلالي الذي يصاحب الخروج على هذا الأصل الذي تبناه بعضهم ، أمّا الرأي القائل بالجواز فقد اهتمَّ بالمعنى على حساب الجانب الشكلي ، واختطَّ الرأي القائلُ بالغلبة منهجاً وسطاً بين المنهجين السابقين.

إنَّ النمط الذي يبدأ بالنعت المفرد ، لاشكَّ أنّه هو السائد في الاستعمال العربي ، لكنّه لا يعني إطلاقاً عدم وجود أنماط أخرى خرجت على هذا النسق لدلالات أرادها منشئُ اللغة ، وبالتأكيد هي مُرادة في السياق القرآني وهذهِ الدراسة ترصد الدلالات التي ترافق تقدُّم النعت الجملة على المفرد في السياق القرآني ، ويبدو ذلك في ما يأتي :

١-قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾[المائدة/٥٤].

إذ يرى أبو حيان أنَّ في هذهِ الآيةِ دليلاً على بطلان مَن ذهبَ إلى عدم جواز تقدُّم الفعلية على المفرد في السياق الذي يحتوي على نعتين أو أكثر إلاّ في ضرورة الشعر ؛ معللاً ذلك بأنَّ الفعلية تشير إلى التجدّد ؛ فلذلك قدَّمها على المفرد ، ثمَّ لما كانت العلاقةُ بين المؤمن وربّه أشرف من العلاقة بين المؤمن والمؤمن نراه قد قدَّم الفعلية على المفرد[٧] ثم نراه يتحدث عن الوصفين المتأخرين وهما : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ؛ إذ يرى أنّهما جاءا نتيجةً للأوصاف السابقة ؛ ذلك أنَّ الذي يحبُّ الله لا يخشى سواه ، كما أنّهما مساوقين (أَذلّةٍ على المؤمنين أَعزَّةٍ على الكافرين) ، ولأنَّ الخوف أعظمُ من الجهاد[٨] ، ويعلل السمين الحلبي تقديم (يحبهم) على (يحبونه) لشرف تلك المحبّة وسبقها على محبتهم له تعالى ، يقول في ذلك : ((وقدِّمت محبّة الله تعالى على محبتهم لشرفها وسبقها إذ محبته تعالى لهم عبارة عن إلهامهم فِعلَ الطاعات وإثابته إياهم عليها))[٩]

، ومع أنّه يميل إلى التزام أن يكونَ ذلك من باب تعدد النعوت، وسبق الفعلية المفرد – كما سيتضح لاحقاً – وأنّه حلّل ذلك تحليلاً دلالياً دقيقاً تعقَّبَ فيه ترتيب هذهِ النعوتِ في هذه الآية؛ إلاّ أنَّه يُشير إلى الرأي الآخر فيها وأنَّه يمكن أن تكون جملة (يحبّهم، ويحبونه) جملة اعتراض جيء بها تأكيداً وتسديداً للكلام مثلما الحال في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة/٧٦] ، فقد كانَ الفصلُ بين النعت والمنعوت بجملة (لو تعلمون) ، وفي الآية التي نحن بصددها فقد فُصل بين (قوم) و(أذلّة) و(أَعزَّة) بقوله (يحبّهم وتحبونه) ؛ ولذلك لا يكون لهذهِ الجملة محلٌّ من الإعراب ؛ لأنها جملة اعتراض[١٠] ، وإذا عُدنا إلى تفسيره ذلك الترتيب للنعوت في هذه الآية وجدناه ينطلق من أنَّ الفعلية تفيد التجدد والحدوث والاسم يدلُّ على الثبوت والاستقرار ، يقول في ذلك : ((ووقع الوصف في جانب المحبّة بالجملة الفعلية لأنَّ الفعل يدلُّ على التجدد والحدوث ، وهو مناسبٌ فانَّ محبتهم لله تعالى تجدّدُ طاعاته وعبادتَه كلَّ وقت ، ومحبّة الله إيّاهم تجدّدُ ثوابه وأنعامَه عليهم كلَّ وقت ، ووقعَ الوصفُ في جانب التواضع للمؤمنين والغلظة على الكافرين بالاسم الدال على المبالغة دلالة على ثبوت ذلك واستقراره وأنّه عزيزٌ فيهم ، والاسم يدلُّ على الثبوت والاستقرار ، وقدَّم الوصف بالمحبّةِ منهم ولهم على وصفهم بأذلّة وأعزّة ؛ لأنهما ناشئان عن المحبتين ، وقدَّم وصفهم المتعلق بالمؤمنين على وصفهم المتعلق بالكافرين ؛ لأنّه آكدُ وألزمُ منه ولشرف المؤمنِ أيضاً))[١١].

وجعلُ النعت الثاني حالاً أمرٌ وجدناه عند النحويين والمفسّرين على حدٍّ سواء ، على أساس أنَّ النعت الأوّل قد خصص المنعوت فأصبح به معرفةً ، ومن ثمَّ يكون الثاني حالاً ، وهو أمرٌ يتناقضُ والمبدأ الذي قرروه في تعدد النعوت ، فعلى هذا الأساس لا يكونُ في الجملة أو في التركيب إلا نعتٌ واحد فقط ، وموضوع تعدد النعوت يكون من الأوهام التي قرروها ، ثمَّ إنَّ ذلك يُلغي مسألة حاجة المنعوت أحياناً إلى أن تعرف أكثر من صفةٍ من صفاته المتعدّدة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لا يصبح فارق بين حدِّ النعت والحال ، مع أنَّ النحويين قد وضعوا أوصافاً أو حدوداً لكلٍّ منهما ، ومكانُها كتب النحو ، وكتب التعريفات ، وبالإمكان الرجوع إليها ليتضح الأمر ؛ إلاّ أنَّ هذهِ الحدود غابَ عنها أمرٌ هام يتعلق بمضمون كلٍّ منهما ، وقصدي بالمضمون هنا ، ليس الغرض الذي سيق من أجله النعت ، مثل: المدح أو الذم وما إلى ذلك من أغراض النعت مثلاً ، بل قصدي أنَّ المنعوت له جملة مكونات ذاتية أو تكوينية أو جملة أجزاء ، وتأتي النعوت لتشير إلى كلٍّ منها على حِدَة ، ومثاله قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/٢٥] فلقد وصفت الجنّة بثلاث صفات في هذه الآية[١٢] ، بينت ما تتضمنه من مكونات ، وهي الأنهار الجارية والرزق والأزواج المطهّرة. وهذا الأمرُ لا نجده في الحال اطلاقاً ؛ لأنّه

وُضِعَ لأمر آخر ، وعلى هذا الأساس لا أميل أيضاً إلى عَدِّ النعتِ إذا تقدَّم على المنعوت النكرة حالاً ومثاله قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ...﴾[البقرة/٢٢] ؛ إذ جعلوا (لكم) حالاً من (فراشاً) ؛ لأنّها نعتٌ تقدَّم على المنعوت ، وكذلك جعلوا (من الثمرات) حالاً من (رزقاً) لأنها نعت تقدَّم على المنعوت[١٣] ، ذلك أنَّ الرزق في الآية المباركة قد وصف بوصفين ، يمثل كلٌّ منهما جهةً معينة فهو أولاً (من الثمرات) وليس من شيءٍ آخر ثم هو ثانياً موجه للمخاطبين المخصوصين ، وإذا تعاملنا مع النعوت على وفق هذهِ الطريقة نكون قد لامسنا معنى كلّ نعت والهدف من وراء إطلاقه وابتعدنا عن التداخل في الموضوعات والاعتراضات التي توجه الينا بسبب الاعتماد على ظواهر الأمور دون الغوص في المعاني المتوخاة ، ومثل ذلك يُقال أيضاً في قوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ [الإسراء/٩٥] ؛ إذ أجاز الزمخشري في (ملكاً) النصب على الحال ولم يتطرق إلى إعراب السماء[١٤] ، وهو أمرٌ أيّده السمين الحلبي[١٥] ، وأبو السعود[١٦] ، ثم إنَّ أولَ مَن قال بهذا الأمر – أعني جعل النعت إذا تقدَّم على المنعوت النكرة حالاً – هو سيبويه ، قال : ((وذلك [قولك] هذا قائماً رجلٌ ، وفيها قائماً رجلٌ. لمّا لم يجز أن توصف الصفة بالاسم وقبحُ أن تقول : فيها قائمٌ فتضع الصفة موضع الاسم ، كما قَبحُ مررت بقائمٍ وأتاني قائمٌ ، جعلت القائم حالاً وكانَ المبنيُّ على الكلام الأول ما بعده))[١٧] ، قال ابن السيرافي في توضيح ذلك : ((يعني أنَّ قائماً لا يجوز أن يكون وصفاً للاسم المتأخر ، وهو رجلٌ ولا يجوز أن يكون (قائمٌ) مبتدأ وهذا خبره ؛ لأنّه لا يحسن أن تقوم الصفة مقام الموصوف في كلِّ حال ، ولا يجوز أن يكون (رجل) نعتاً لقائم ؛ فلمّا قبُحت هذهِ الوجوه ، وقد جاز عندهم أن يكون (قائم) الذي هو وصف النكرة حالاً فيها في الموضع الذي يحسن فيه الوصف))[١٨].

والنحويون – بعد سيبويه – وضعوا مسوغات لمجيء الحال من النكرة ، لم يَقُل بها سيبويه واختار أبو حيان أن يكون ذلك بلا مسوّغ،ومن هذهِ المسوّغات أن يختص صاحب الحال بوصف أو إضافة أو أن يسبق بنفي أو نهي أو استفهام أو أن يتقدَّم الحال على صاحبها النكرة[١٩]، وهذا الأمر لم يؤيده الدكتور فاضل السامرائي على أساس أن الحال لها معنى ، والصفة لها معنى آخر ، وأنه لا داعيَ للمسوّغات التي اشترطها النحاة بعد سيبويه ، فسيبويه لم يشترط وجود أيّ مسوّغ ، وهذا هو رأي الخليل أيضاً ، ويرى أنَّ المسوّغ هو المعنى ، وأنَّ تقديم الحال على صاحبها النكرة ليس لتسويغ الحالية ، وإنّما هو لغرض من أغراض التقديم وهو الاهتمام[٢٠].

٢-قوله تعالى :﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾ [الأنعام/٩٢]

إذ أشار إلى تعدّد النعوت في هذهِ الآية المباركة النحاس[٢١] ،والطبرسي[٢٢] ، والفخر الرازي[٢٣] ، دون الإشارة إلى الدلالة التي صاحبت الخروج على

الأصل النحوي ، وخالف ابن عاشور المفسّرين في ذلك ؛ إذ عَدَّ جملة (أنزلناه) حالاً من اسم الإشارة أو جملة معترضة بينه وبين خبره ، ثم جعلَ (مبارك) خبراً ثانياً ، و(مصدق) خبراً عن كتاب أو عطفاً[٢٤].

أمّا السيد طنطاوي فقد مال بتفسيره ذلك ميلاً دلالياً ، فقد وصفه هنا بالإنزال – كما يرى – وقدمه على وصفه بالبركة ، بخلاف قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء/٥٠] ؛ لأنَّ الأهم هنا وصفه بالإنزال ؛ إذ جاء ذلك عُقيب إنكارهم أنْ ينزل الله على بشر من شيءٍ ، بخلاف هناك ، ووقعت الجملة فعلية ؛ لأنَّ الإنزال يتجدّد وقتاً فوقتاً ، في حين أنَّ البركة ثابتةٌ مستقرة ؛ لذلك جاءت بالاسم[٢٥] ، والى مثل هذا ذهب محيي الدين الدرويش؛ إذ يرى أنَّ جملة (أنزلناه) في محل رفع صفة أولى لكتاب ، ومبارك صفة ثانية ، ومصدق صفة ثالثة ... وجاء بالصفة الأولى فعلية وهي جملة (أنزلناه) ؛ لأنَّ الإنزال يتجدّد وقتاً بعد وقت ... ووقعت الصفة الثانية اسماً وكذلك الثالثة للدلالة على الثبوت والاستمرار وديمومة البركة[٢٦].

ووجدنا الاحتمالات النحوية واضحةً في قوله تعالى :﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾[ص/٢٩] ؛ إذ يرى السمين الحلبي أنَّ جملة (أنزلناه) نعت ، و(مبارك) خبر لمبتدأ مضمر أو خبرٌ ثانٍ ، يقولُ في ذلك : ((لأنَّه لا يتقدَّم عند الجمهور غيرُ الصريح على الصّريح ، ومن يرى ذلك استدلّ بظاهرها ، وقد تقدَّم هذا محرّراً في المائدة))[٢٧].

والى مثل ذلك مَال ابن عاشور ، إذ يقول : ((فقوله (كتاب) يجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف والتقدير : هذا كتابٌ ، وجملة (أنزلناه) صفة (كتاب) ، ويجوز أن يكونَ مبتدأً وجملة (أنزلناه) صفة (كتاب) ومبارك خبراً عن كتاب))[٢٨] ، لكنَّ ابن النحاس وأبا السعود والآلوسي يَرون أنَّ ذلك من تتابع النعوت ، لكنهم لم يشيروا إلى دلالة هذا الترتيب[٢٩] ، ومما سبق يتضح أنّ المفسّرين المعتمدين في هذه الدراسة لم يتفقوا في إعراب لفظة (مبارك) ، فهم بين مَن جعلها نعتاً ثانياً أو خبراً لمبتدأ محذوف أو خبراً ثانياً أو حالاً ، وكلُّ ذلك أبوابٌ نحويّةٌ لها دلالاتها الخاصّة ، غيرُ المتساوية فنحن بين مَن عَدَّها عُمدَةً وبين مَن عدَّها فضلةً ، وهذا بالتأكيد يترك بظلاله على النّص القرآني المجيد ، ويقف حائلاً دون فهمه فهماً صحيحاً ، وتلك الاحتمالات أجدها لا تبحث عن المفهوم أو المضمون بقدر تعلقها بالشكل وظواهر الأمور ، ولعلَّ مآلُ الأمر ههنا – والله أعلم – يتضمن مجالين هما :

أ- وصف الإنزال الذي يفيد التجدد والحدوث ، ويفيد جهة المنزّل وأنّها منه – سبحانه وتعالى – باتجاه الرسول الأكرم (ص) .

ب- وصف البركة التي تترتب على هذا الإنزال ، وهي الجهة المقابلة المخاطبة – أعني البشر – الذين إذا التزموا بهذا المنزَّل يتحصلوا البركة حتماً، وهذا الوصفُ متمّم للوصف الأول؛ لأنّه لو قيل : (وهذا كتاب أنزلناه اليك) لتمَّ الكلام ، وأفاد معنى الإنزال فقط ، وباضافة (مبارك) زاد الكلام بُعداً آخرَ وهو الإنزال والبركةُ ، وبهذا أرى أن يكون التعامل مع

النص القرآني بحذر شديد ، وعدم إرغامه ليكون ضمن القوالب النحوية المتعارف عليها.

٣-قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾[الأعراف/٥٢]

إذ أشار الفراء إلى جواز الخفض في (هدىً ورحمة) على الاتباع للكتاب وأنَّ ذلك صوابٌ لاشكَّ فيه[٣٠] ، في حين عَدّهما الزمخشري حالين من الضمير في فصلناه ، يقول في ذلك : ((و(هدى ورحمة) حالٌ من منصوب فصلناه ، كما أنَّ على علم حالُ من مرفوعه))[٣١].

وأوضح السمين الحلبي إعراب (فصلناه) على أنّه نعت لكتاب[٣٢] ، أمّا (هدى ورحمة) فقد أعطى فيهما احتمالات إعرابية هي[٣٣] :

أ- النصب أمّا مفعول لأجله : أي فصلناه لأجل الهداية والرحمة أو أنَّه حال من الكتاب ، وجاز في ذلك لتخصصه بالوصف ، أو حال من مفعول (فصلناه).

ب- الجرّ على التبعية لكتاب ، ووصف ذلك بالقراءة.

وأرى أنَّ ما ورد في الآية المباركة هو من تتابع النعوت ؛ إذ الكتاب مفصلٌ بالقياس إلى ذاته ومضمونه ، ثمَّ هو هدىً ورحمةٍ بالقياس إلى أثره ، وكلا الوصفين جاءَ معبِّراً عن جهةٍ خاصّة ، ويمكن أن يقال: إنَّ النعت الثاني والمعطوف عليه كانا نتيجةً للنعت الأول – والله أعلم–.

نتائج البحث :

وأوجزها بما يأتي :

١- إنَّ النمط السائد في حال تعدد النعوت للمنعوت النكرة في السياق القرآني هو تقدُّم المفرد على شبه الجملة والجملة ، لكنَّ ذلك لا يبيح وصف ما جاءَ خارجاً عليه بعدم الجائز ، بل نقول : ذلك جائز وله دلالته الخاصّة بكل سياق.

٢- إنَّ إحدى الدلالات التي رافقت هذا الخروج تتمثَّل بتقديم ما يمثل العلاقة بين الخالق ، جلَّ وعلا ، والمخلوقين ، على العلاقة بين المخلوقين أنفسهم ، واتضح هذا في آية ٥٤ من المائدة.

٣- ويكون ذلك أيضاً إذا كان السياقُ جواباً على تشكيك صدر عن الكفار في أن يكون الكتاب قد نزل على الرسول (ص) فقدم الجملة الفعلية ومعناها الإنزال على البركة ، وهذا يتضح في آية (٩٢) من الأنعام.

٤- أو أن تكون الفعلية مشيرة إلى ذات المنعوت والمفرد مشيراً إلى أثره في المخلوقين ؛ لذلك قدّم وصف الذات بالفعلية على وصف الأثر بالمفرد ، وهذا يبدو في آية (٥٢) من الأعراف.

٥- لا تميل الدراسة إلى القول بإعراب النعت إذا تقدَّم على المنعوت النكرة حالاً ، بل تجد أنَّ ذلك يُبقي النعت نعتاً ، على أساس اختلاف معنى كلّ منهما ، ولأنّ ذلك القول يُبطل التعدد في النعوت.

الهوامش

١- ينظر الأصول في النحو ٦٣/٢.

٢- المقرّب ٢٤٧-٢٤٨ وينظر شرح جمل الزجاجي ٢١٧/١-٢١٨ ، وهمع الهوامع ١٨٥/٥.

٣- الكتاب ٤٩/٢.

٤- تسهيل الفوائد ٦٩

٥- ينظر شرح الرضي على الكافية ٣١٨/١.

٦- ينظر شرح التصريح ١٢٠/٢.

٧- ينظر البحر المحيط ٥٢٤/٣.

٨- ينظر نفسه ٥٢٤/٣-٥٢٥.

٩- الدر المصون ٣٠٧/٤.

١٠- ينظر نفسه ٣٠٨/٤.

١١- الدر المصون ٣١٠/٤.

١٢- ينظر الدر المصون ٢١٣/١-٢٢١.

١٣- ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٦٤/١.

١٤- ينظر الكشاف ٩٦٤/٢.

١٥- ينظر الدر المصون ٤١٢/٧.

١٦- ينظر إرشاد العقل السليم ١٥٩/٤.

١٧- الكتاب ١٢٢/٢.

١٨- شرح أبيات سيبويه ٤١٩/١-٤٢٠.

١٩- ينظر شرح التسهيل ٣٣١/٢-٣٣٢ ، والارتشاف ١٥٧٧/٣.

٢٠- ينظر معاني النحو ٢٥١/٢-٢٥٣.

٢١- ينظر إعراب القرآن ٣٨٠/١.

٢٢- ينظر مجمع البيان ٤١٦/٤.

٢٣- ينظر التفسير الكبير ٣٧٥/٦-٣٧٨.

٢٤- ينظر التحرير والتنوير ٣٣/٥.

٢٥- ينظر التفسير الوسيط ١٥٠٠/١.

٢٦- ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤٠٨/٢-٤٠٩.

٢٧- الدر المصون ٣٧٣/٩-٣٧٤.

٢٨- التحرير والتنوير ١٤٨/٢٣.

٢٩- ينظر إعراب القرآن ٣١٠/٣ ، وارشاد العقل السليم ٣٦٠/٥ ، وروح المعاني ١٨١/١٢ .

٣٠- ينظر معاني الفراء ٣٨٠/١ ، وينظر جامع البيان ٤٧٧/١٢ .

٣١- الكشاف ١٠٩/٢.

٣٢- ينظر الدر المصون ٣٣٦/٥.

٣٣- ينظر نفسه ٣٣٦/٥-٣٣٧.

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب في معرفة كلام العرب/ أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) تحقيق وتعليق : د.مصطفى أحمد النمّاس ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٩.

٢- الأصول في النحو/ ابن السرّاج (ت٣١٦هـ) تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي ، الجزء الأول مطبعة النعمان، النجف الاشرف، والجزء الثاني مطبعة سليمان الاعظمي، بغداد ، ١٩٧٣م.

٣- إعراب القرآن / أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلّق عليه ، عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين الدرويش ، منشورات كمال الملك ، ط٢ ، مطبعة سليمان زادة ، (١٤٢٨هـ).

٥- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور/ محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

٦- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/ ابن مالك (ت٦٧٢هـ) حققه وقدّم له ، محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٧- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود (ت٩٨٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٨- تفسير البحر المحيط/ أبو حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠١م.

٩- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي (ت٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠١م.

١٠- التفسير الوسيط/ محمد سيد طنطاوي ، ضمن المكتبة الشاملة الالكترونية .

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م.

١٢- الدر المصون / السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) تأليف : د. أحمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، دمشق .

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

١٤- شرح أبيات سيبويه / ابن السيرافي (ت٣٨٥هـ) ، حققه د. محمد علي الريح هاشم ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

١٥- شرح التسهيل/ ابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

١٦- شرح التصريح على التوضيح / خالد الازهري (ت٩٠٥هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة.

١٧- شرح جمل الزجاجي/ ابن عصفور الأشبيلي

(ت٦٦٩هـ) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، طبع بمطابع دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢م.
١٨- شرح الكافية / الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م.
١٩- الكتاب/ سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٩٨٣م.
٢٠- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ جار الله الزمخشري (ت٥٢٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسين أحمد ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٦م.
٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت٥٤٨هـ) وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : هاشم الرسولي المحلاتي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٩ق ، ١٣٣٩ش.
٢٢- معاني القرآن/ الفراء (ت٢٠٧هـ) ، ج١ تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ج٢ تحقيق: محمد علي النجار ، ج٣ تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي وعلي النجدي ناصف ، دار السرور.
٢٣- معاني النحو/ د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي، الموصل ، ١٩٨٩م.
٢٤- المقرّب/ ابن عصفور الأشبيلي ، تحقيق : د. أحمد عبد الستار الجواري ، ود. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧١م.
٢٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق وشرح : د. عبد العالم سالم مكرم،دار البحوث العلمية،ساعدت جامعة الكويت على نشره،١٩٧٩م.